الشعر في مصر في " العصر الأموي "
دراسة فنية على مجموعة من القصائد

أ. زياد عبدالله الحارثي
ماجستير في الأدب والنقد والبلاغة - جامعة طيبة

الملخص:

يهدف البحث إلى معرفة الأغراض الموضوعية التي نظم فيها شعراء مصر في العصر الأموي، والكشف عن السمات الفنية والجمالية التي يتضمنها ذلك الخطاب الشعري، ودورها فيه، وإضافةً إلى ذلك بيان ما تركته البيئة المصرية من أثرٍ في نفوس الشعراء؛ انعكس ذلك على أدائهم الشعري؛ وذلك من خلال دراسة مجموعة من القصائد المختارة لأبرز شعراء تلك الفترة. وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي في بيان ذلك. وقد اقتضت طبيعة موضوع البحث أن يكون في أربعة مطالب تسبقها مقدمة وتمهيد وتليها خاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع. وخلص البحث إلى نتائج عدة أهمها: إن الأغراض المتناولة التي عبر عنها الشعراء في مصر تقليدية لا جديد فيها، وقد كان المدح هو الأكثر نظمًا لدى الشعراء، خاصة في عهد عبد العزيز بن مروان، لنيل العطاء والكرم من الممدوح. وأنه كان في مصر شعرٌ وافرٌ، لكنه أُهمِل، ولم يعتنِ أحد بروايته وحفظه، فضاع أكثره، ولم يصل إلينا منه إلّا القليل.

الكلمات المفتاحية: الشعر، مصر، العصر الأموي.

Abstract:

The research aims to know the objective purposes in which the poets of Egypt organized in the Umayyad era, and to reveal the artistic and aesthetic features contained in that poetic discourse, and its role in it, and in addition to that, an indication of the impact of the Egyptian environment on the hearts of poets; This was reflected in their poetic performance; And that is through the study of a group of poems selected by the most prominent poets of that period. The researcher adopted the descriptive approach to explain this. The nature of the research subject necessitated that it be in four demands preceded by an introduction and a preface and followed by a conclusion, and then proven with sources and references. The research concluded with several results, the most important of which are: The purposes addressed by poets in Egypt are traditional and nothing new, and praise was the most organized among poets, especially during the era of Abdul Aziz bin Marwan, to obtain the giving and generosity of the praised one. And that there was abundant poetry in Egypt, but it was neglected, and no one took care of his narration and memorization, so most of it was lost, and only a few of it reached us.

Keywords: poetry, Egypt, the Umayyad period.

المقدمة:

الشعر ديوان العرب ، وميزان حكمتهم، ونبراس فصاحتهم، به زينوا الكلام، وفيه سطروا المعاني، فجاءت أشعارهم حافلة بدرر الكلام، وعظيم البيان، حملوه في قلوبهم، وصاغوه على ألسنتهم، ونقلوه إلى الشعوب التي شرفت بالدخول في الإسلام، فتبادر أبناؤهم لتعلم العربية، ونسج الكلام على نسج شعرائهم، فنشأت أجيال جديدة، ترى في تعلم العربية شرفاً، وفي نظم الشعر بلسانها ترفاً، وذللوا مطايا الكلام، وأعملوا الفكر والأفهام ، وانتقل الشعراء من الجزيرة إلى بلاد عديدة ، ونقلوا معهم ثقافتهم وعاداتهم، وطافوا في البلاد ينشرون أشعارهم ، فتغنت بها الركبان، وانتشرت في الأركان، وقد وفد الشعراء إلى مصر مع من وفد من الفاتحين، واستقروا على أرضها ، فتفتقت قرائحهم بما جادت به من أشعار في أغراضٍ متنوعة، وشجعهم على ذلك بعض الولاة والحكام، فانبرى الشعراء في نظم الشعر ونسج الكلام، إما وفوداً على ديار الحكام، أو استقراراً على أرضها؛ لتنشأ أجيال من الشعراء العرب في تلك الأرض التي استوعبت أشعارهم ولغتهم. وبناءً على ما تقدم جاءت أهمية البحث، واختيار موضوعه، الذي انطلق من التساؤلات الآتية:

من هم أبرز الشعراء الذين عاشوا في مصر في العصر الأموي؟

ما الأغراض الموضوعية التي تضمنها شعر شعراء مصر في العصر الأموي؟

ما السمات الفنية والجمالية التي امتاز بها شعر شعراء مصر في العصر الأموي؟

هل للبيئة المصرية أثرٌ بارزٌ في شعر شعراء مصر الذين عاشوا في العصر الأموي؟

وانطلاقًا من الإجابة على هذه الأسئلة فإن البحث يهدف إلى معرفة الأغراض الموضوعية التي نظم فيها شعراء مصر في العصر الأموي، والكشف عن السمات الفنية والجمالية التي يتضمنها ذلك الخطاب الشعري، ودورها فيه، وإضافةً إلى ذلك بيان ما تركته البيئة المصرية من أثرٍ في نفوس الشعراء؛ انعكس ذلك على أدائهم الشعري؛ وذلك من خلال دراسة مجموعة من القصائد المختارة لأبرز شعراء تلك الفترة. وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي في بيان ذلك. وقد اقتضت طبيعة موضوع البحث أن يكون في أربعة مطالب تسبقها مقدمة وتمهيد وتليها خاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع التي رجع إليها البحث واستفاد منها. تناولت في التمهيد سبب تسمية مصر بهذا الاسم، وتعريفًا للبيئة وموقعها الجغرافي. وخصص المطلب الأول لبيان قيمة الشعر في مصر وأبرز عوامله، وفي المطلب الثاني، تناولت شعراء أهل مصر، وفي الثالث تناولت الشعراء الوافدون على مصر، وخصصت المطلب الرابع للدراسة التطبيقية (الفنية) لمجموعة من النصوص المختارة ودرستها من حيث البناء، والصورة، والأغراض، والوزن والقافية، ثم جاءت الخاتمة لتبرز أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

تمهيد:

كان يطلق على مصر في العصور القديمة، عصور ما قبل الطوفان" جزلة"[1]، ويقال : كان اسمها قديما درسان، أي : باب الجنان، وقد سميت "بجزلة" بعد الطوفان[2]، ثم سميت مصر، ولكن اختلف العلماء في المعنى الذي من أجله سميت هذه الأرض بمصر، والراجح أنها سميت نسبة إلى مصرام بن مصريم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، غير أنهم أسقطوا الميم من ذلك الاسم؛ لكثرة استعماله، وهو اسم أعجمي، لا ينصرف، والله أعلم[3] .

مصر ولاية عظيمة في الشمال الشرقي من إفريقيا، وحدودها الطبيعية من جهة الشمال " بحر الروم "، ويقال له : البحر الأبيض المتوسط ، ومن جهة الشرق "خليج السويس والبحر الأحمر"، ومن جهة الغرب " صحاري ليبيا "، ومن جهة الجنوب " بلاد النوبة "، وهي أيضا تابعة للحكومة الخديوية المصرية، وأوّلها من عند جنادل أسوان المعروفة بشلالات أسوان[4] .

بدأ العصر الأموي في سنة ٤١ إلى ١٣٢ للهجرة، وكانت الخلافة في ذلك العصر في دمشق، فكانت مصر ولاية يرسل لها والٍ يتولى أمورها، وقد تم تكليف ما يعادل ٢٠ والياً، أولهم " عمرو بن العاص - رضي الله عنه ."[5] .

المطلب الأول: قيمة الشعر وعوامله في مصر في العصر الأموي:

لم يصلنا في هذا العصر من الشعر إلا عدة أبيات قليلة جداً،لا نستطيع أن نتحدث بها عن الشعر كله،ولم تصلنا قصيدة كاملة إلا إذا استثنينا شعر الوافدين على مصر، والذين كان لهم أثر كبير في ازدهار الحياة الأدبية في مصر، ومع هذه الأبيات القليلة التي وصلتنا فإنها تدلنا على أنه كان في مصر شعر، وأنه لم يعتنِ أحد بروايته وحفظه، ففقدَ[6]. و لعل أول قصيدة رويت في مصر في العصر الأموي كانت في عام ثلاث وخمسين من الهجرة، في ولاية مسلمة بن مخلد عندما أمر بهدم ما بناه عمرو بن العاص من مسجد الفسطاط، وأمر بالزيادة في المسجد الجامع[7]، و بابتناء منار المسجد، وأمر أن يؤذنوا في وقت واحد، وأمر مؤذني الجامع أن يؤذنوا للفجر إذا مضى نصف الليل، فإذا فرغوا من أذانهم أذن كل مؤذن في الفسطاط في وقت واحد. قال ابن لهيعة فكان لأذانهم دويّ شديد، فقال عابد بن هشام الأزديّ ممتدحا[8]:

(1) ينظر: خطط المقريزي، 18/1 .
(2) ينظر: تاريخ مصر وفضائلها، لابن زولاق ، ص17.
(3) ينظر: المصدر السابق، ص17 .
(4) ينظر: جغرافية مصر لمحمد فكري، ص5.
(5) ينظر: تاريخ مصر وفائلها، لابن زولاق، ص56.
(6) ينظر: أدب مصر الإسلامي، محمد كامل حسين، ص126.
(7) ينظر: المصدر نفسه، ص128.
(8) ينظر: الخطط ، 8/4

مجلة تهامة - العدد الخامس عشر (يناير – يونيو 2022م) نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الحديدة
www.tehama-journal.com ISSN:2710-1282 (Online) ISSN:2710-1290 (Print)

لقد مدّت لمسلمة الليالي .... على رغم العداة من الأمانِ
وساعده الزمان بكلّ سعد ... وبلغه البعيد من الأماني
أمسلم فارتقي لا زلت تعلو ... على الأيام مسلم والزمان
لقد أحكمت مسجدنا فأضحى .. . كأحسن ما يكون من المباني
فتاه به البلاد وساكنوها كما تاهت بزينتها الغواني
وكم لك من مناقب صالحات ... وأجدل بالصوامع للأذان
كان تجاوب الأصوات فيها ... إذا ما الليل ألقى بالجران
كصوت الرعد خالطه دويّ ... وأرعب كلّ مختطف الجنان

لقد كانت القيمة الشعرية في مصر ضعيفة، إذ إن أكثر من ينظمون الشعر يعدون مجهولين لنا، وربما كان أهمهم ابن أبي زمزمة الذي عاصر عبدالعزيز بن مروان في ولايته على مصر (65 – 85 هـ)، وأشعاره المنسوبة إليه لا ترقى إلى أفق شاعر متوسط من شعراء المراكز الأخرى في الحجاز، ونجد، والعراق، وخراسان. ومن المحقق أن الشعر نشط بمصر في ولاية عبدالعزيز بن مروان، غير أنه في جملته شعر وافد، أنشده بمصر شعراء الحجاز، ونجد، والعراق، الذين وفدوا على ابن مروان يمدحونه لأخذ نواله، وكان بحرًا فياضا، وغيثا مدراراً[1].

ومن العوامل التي أدَّت إلى قِلَّة شعراء أهل مصر، الأحداث السياسية أن الجيوش التي فتحت مصر والمغرب كانت كلّها أو معظمها من عرب اليمن، وعرب اليمن في ذلك لم يكونوا ذوي لسن وأدب، ولم تكن لهم لغة يحتجُّ بها حتى يكون لهم شعر يطرب له، ويعجب به. ومن الأحداث الثقافية أن هذه البقاع قبل الإسلام كانت يونانية رومانية، تفتقر إلى مثل الرابطة العربية القديمة التي ربطت حيرة العراق وجلّق الشام بعكاظ الحجاز. فمن أين يأتيها الشعر؟ وإن ولاة مصر- ما عدا عبدالعزيز بن مروان - كانوا على تقريب العلماء والفقهاء أحرص منهم على تقريب الشعراء، فبقي بينها وبين الشعر حاجز[2].

لقد كانت مصر خلال العصر الأموي ولايةً تابعة للخلافة، فلم يكن لها ما للخلافة من مكانة؛ لجذب الشعراء إليها، وتشجيعهم على قول الشعر. وإذا بلغ نبوغ الشاعر، كان يحمل إلى الخليفة، أو يرحل هو؛ طلباً للعطاء الوفير[3]. فهذه العوامل كانت أقوى من رغبة ابن مروان، ومن موهبة ابن أبي زمزمة أشعر أهل مصر في زمن عبدالعزيز بن مروان الذي لا يعدل شعر

(1) ينظر: العصر الإسلامي، شوقي ضيف، ص148.
(2) ينظر: الشعر في العصر الأموي ، الدكتورغازي طليمات، ص148.
(3) ينظر: معالم الثقافة في القرنين، لعبدالفتاح فتحي، ص219.

شاعر من الطبقة الثانية أو الثالثة في البصرة أو في الشام. فالجيّد المنقول إلينا مما قيل في العصر الأموي كان لمن وفدوا إلى مصر من الشعراء العراقيين أو النجديين [1].

المطلب الثاني: شعراء أهل مصر المستقرون:

هم الذين دخلوا مصر مع الفتح أو بعده، وأقاموا فيها، وتفاعلوا مع أحداثها ووقائعها وعبروا عنها. وقد بلغ مجموع عدد أبياتهم بتنوع الأغراض الموضوعية (53) بيتا. ومن هؤلاء الشعراء:

١- عابد بن هشام الأزدي: شاعر من أهل مصر، وله قصيدة واحدة من ثمانية أبيات، مدح مسلمة ابن مخلد سنة (53هـ) في تجديده مسجد عمرو بن العاص وتوسعته له، وبنائه منارات المساجد كلها ، فقال ممتدحا إياه[2]:

لقد مُدّت لمسلمة الليالي *** على رغم العِداة مع الأمان

وساعده الزمان بكل سعد *** وبلّغه البعيد من الأماني

٢- زرعة بن سعد الله بن أبي زمزمة الخشني: هو من أشعر شعراء مصر، وله ثلاث مقطوعات منها مدح فيها عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم، سنة (65هـ) فقال[3]:

وَما الجِدّ إلا مثلُ جِدُ ابن جَحدَمٍ ... وَما العَزْمُ إلاّ عَزْمُهُ يَوْمَ خَندَقِ

ثَلاثونَ أَلْفاً هُمْ أثاروا تُرابَهُ ... وَخَدّوهُ في شهرٍ؛ حدَيثُ مُصَدَّقِ

وهو شاعر متعصب لمصر، شجاع يقف ضد ظلم الولاة، ومنهم: عبدالله بن عبدالملك، قام لهجائه؛ نتيجة زيادة الأسعار، وذلك إبّان خروج الوالي إلى الخليفة الوليد بن عبدالملك سنة (٨٨هـ). فقال[4]:

إذا سار من مصر عبدالله خارجا *** فلا رجعت تلك البغال الخوارجُ

أتى مصر والمِكْيالُ وافٍ مُغزْبلٌ *** فما سار حتى سار والمدّ فالِجُ

فأهدرعبد الله بن عبد الملك دمه، فهرب الى المغرب، وكتب إلى الوليد بن عبد الملك[5]:

ألاَ لا تَنْهَ عَبْدَ اللهِ عَنّي ... كمَا قَدْ قالَ يَجْعَلُني نَكالا.

ولم أشتم لعبد الله عرضاً ... ولم آكل لعبد الله مالا

3- زياد بن قائد اللخمي : شهد فتح مصر[6]، وله مقطوعة واحدة، يرثي الأكدر سنة (٦٥هـ) . فقال[1]:

(1) ينظر: الشعر في العصر الأموي . الدكتور غازي طليمات، ص149.

(2) الخطط ، 4/ 8

(3) الولاة والقضاء، للكندي، ص42.

(4) المصدر نفسه، ص59.

(5) الولاة والقضاء للكندي، ص59.

(6) حسن المحاضرة للسيوطي، 201/1.

كَمَا لَقِيَتْ لَخْمُ مَا سَاءَهَا ... بِأَكْدَرَ لَا يَبْعَدَنْ أَكْدَرُ

هُوَ السَّيْف أَجْرَدَ مِنْ غِمْدِهِ ... فَلَاقى المَنَايَا وَمَا يَشْعُرُ

فَلَهْفَي عَلَيْكَ غَدَاةَ الرَّدَى ... وقَدْ ضَاقَ ورْدُكَ والمَصْدَرُ

وَأَنْتَ الأَسِيرُ بِلَا مَنْعَةٍ ... ومَا كانَ مِثلُك يُسْتَأْسَرُ

4- زهير بن قيس البلوي : شهد فتح مصر[2]، وله مقطوعة واحدة، يصف الأحداث الحربية سنة (65هـ)، فيخاطب عبد العزيز بن مروان[3]:

مَنَعتَ بُصاقاً وَالبِطاحَ فَلمْ تُرَمْ ... بطاحُكَ لمّا أن حَميتَ ذمارَكا

قَسَرْتَ الأُلى وَلّوا عَنِ الأمرِ بَعدما ... أرادوا عَلَيْهِ، فَاعْلَمَنّ اقْتِسارَكا

5- كريب بن مخلد الجيشاني : له مقطوعة واحدة في سنة (١٠٤هـ) يصف الأصنام عندما أمر يزيد بن عبد الملك بكسر الأصنام فكسرت كلها ومحيت التماثيل وكسر فيها صنم حمام بن زبّان بن عبد العزيز. فقال[4]:

من كان في نفسه للبيض منزلة *** فليأت أبيض في حمام زبان

عبل لطيف هضيم الكشح معتدل *** على ترائبه في الصدر ثديان

6- عيسى بن شافع : له مقطوعة واحدة في سنة (١٣٢هـ)، عندما أمر مروان بن محمد أن تحرق الدار المذهبة، وكانت تسمى بالدار البيضاء، وهي التي بناها مروان بن الحكم حين دخل مصر سنة (65 هـ)، فبكى شعراء مصر هذه الدار، فمن ذلك ما قاله عيسى بن شافع[5]:

يَا طَلَلًا أَقْوَى وَحَلَّ الْبِلَى *** مِنْهُ لَدَا الْعُلْوِ وَفِي السُّفْلِ

قَدْ كُنْتَ مَغْنًى لِعُيُونِ الْمَهَا *** وَكُنْتَ مَأْوًى لِظُبِي الرَّمْلِ

وَكَانَ أَرْبابكَ مَا إِنْ لَهُمْ *** فِي النَّاسِ مِنْ نَوْعٍ وَلَا شَكْلِ

7- القاضي عمران بن عبد الرحمن الحسني : له مقطوعتين يهجو فيها الوالي عبدالله بن عبد الملك بن مروان الذي ولي مصر سنة (86هـ) ، عندما اختبأ ابن أبي زمزمة في منزل القاضي وكان هذا القاضي قد هجا الوالي وفخر عليه،بقوله[6]:

أَنَا ابْنُ أَبِي بَدْرٍ بِهِجْرَةِ يَثْرِبٍ *** وَهِجْرَة أَرْض النَّجَاشِيّ أَفْخَرُ

أَمِثْلِي عَلَى مَنِّي وَفَضْلِ أُبُوَّتِي *** نَسِيتَ وَهذَا نَجْلُ مَرْوَانَ يُذكَرُ

(1) الولاة والقضاء للكندي، ص46

(2) حسن المحاضرة للسيوطي ، 200/1.

(3) الولاة والقضاء للكندي، ص 43.

(4)المصدر نفسه، ص72. وهذه البيتان لم تنسب إلى شاعر بلفظة عند ابن الحكم في فتوح مصر وأخبارها، ص83. وأن الشاعر كريب بن مخلد الجيشاني ليس له ذكر في المعاجم العربية والأنساب .

(5) الولاة القضاء، للكندي، ص95.

(6)الولاة القضاء، للكندي ، ص328

فبلغ ذَلكَ عبد الله، فعزله عَن القضاء والشُّرَط فِي سنة ٨٩هـ ووَلَّى عَلَيْهِ عَبْد الواحد بْن عبد الرحمن بْن مُعاوية، وكان غُلامًا، حَدَثاً غير أنَّه كَانَ فقيهًا فقال عِمران يهجو عبد الله بْن عَبْد الملك[1] :

لَحَى اللهُ قَوْمًا أمّرُوكَ أَلَمْ يَرَوا *** بِأَعْطَافِكَ التَّخْنِيثَ كَيْفَ يَرِيبُ

أَتَصْرِفُنِي جَهْلًا عَن الْحُكْمِ ظَالِمًا *** وَوَلَّيْتَهُ عَجْزًا فَتَاةً تَخِيبُ

ثَكِلْتُكَ مِنْ وَالٍ وَأَيْضًا ثَكلْتُهُ *** أَلَمْ يَكُ فِي النَّاسِ الْكَثِيرِ يُصِيبُ

8- سعيد بن شريح بن عروة الكندي التجيبي[2]: له مقطوعة واحدة يهجو فيها حفص بن الوليد سنة ١٢٧هـ . وكان سَعِيد مُنقطِع إلى زِنَّان بْن عَبْد العزيز بن مَرْوان[3]:

يَا بَاعِثَ الخَيْلَ تَرْدِي فِي ضَلَالَتِهَا *** مَن الْمُعَظِّمُ فِي الكِتافِ جَاوَانِ

لَا زَالَ بُغْضي ينْمِي فِي صُدُورِكُمُ *** إذ كانَ ذلكَ مِنْ حُبّي لِزَبَّانِ

9- ابن جذل الطعان : له مقطوعة واحدة يفتخر بقبيلته وأنها تنتمي إلى أصول عربية عريقة تمتد جذورها إلى كنانة ، فيبعث الشاعر رسالة إلى قبيلة خولان فيقول[4]:

من مبلغ خولان عنّى رسالة *** يربضها إبنا فراس بن مالك

بأنّ أخانا رائم الخير فيكم *** مقيم بلا ذنب بأزل المهالك

إلى مالك ينمى إذا عدّ أصله *** كنانة أهل المكرمات الموالك

فأجابه رجل من خولان ، فقال[5]:

من مبلغ عنّى فراسًا رسالة *** فنحن لخولان بن عمرو بن مالك

إلى سبأ الأملاك أصلي ومنبتي *** يحدّثني جدّي به غير هالك

المطلب الثالث: الشعراء الوافدون:

لما ولي عبدالعزيز بن مروان شؤون مصر(65 هـ -٨٦ هـ)، وكان محباً للأدب، مثقفاً راوية للحديث، مما شجّع على أن يأتي إليه شعراء كُثُر؛ لكونه ولي العهد بعد أخيه الخليفة عبدالملك، إضافة إلى ما عرف عنه من جود وكرم، فقد توافد إليه الشعراء؛ يمدحونه؛ ولينالوا من عطاياه، ثم يعودون بعد ذلك إلى ديارهم[6]، ومنهم:

(1)المصدر نفسه، ص328.

(2)تاريخ دمشق لابن عساكر ، 21/ 103

(3)الولاة والقضاء للكندي، ص87.

(4)فتوح مصر وأخبارها لابن الحكم، ص90.

(5)فتوح مصر وأخبارها لابن الحكم، ص90.

(6)معالم الثقافة فالقرنين معالم الثقافة الإسلامية في القرنين الأولين من الهجرة، عبدالفتاح فتحي، ص221

وفدَ كثير عزة: له عدة قصائد في مدح والي مصر - عبد العزيز بن مروان -كقوله في مطلع القصيدة [1]:

فَلَولا اللهُ ثُمَّ نَدى اِبنِ لَيلى ***وَأَني في نَوَالِكَ ذو اِرتِغابِ

ثم يقول:

وَنازَعَني إِلى مَدحِ اِبنِ لَيلى *** قَوافيها مُنازَعَةَ الطَرابِ

فَلَيسَ النَيلُ حِينَ عَلَت قراهُ *** غُوالِبُهُ بِأَغلَبَ ذي عُبابِ

ووفد جميل بثينة على عبد العزيز بن مروان ومدحه في قصيدة قال في مطلعها[2]:

إِلى القَرَمِ أَلذي كانَت يَداهُ * * * لِفِعلِ الخَيرِ سَطوَةَ مَن يُنيلُ

إِذا ما غالِيَ الحَمدِ اِشتَراهُ *** فَما إِن يَستَقيلَ وَلا يُقيلُ

ووفد عبيد الله بن قيس الرقيات على عبد العزيز بن مروان ومدحه في عدة قصائد منها يقول في مطلعها[3]:

لحيّ من أمية ليـ *** ـس في أخلاقهم رنقُ

يكون لخابط المعرو*** ـف في واديهم ورقُ

أحب إلى من قوم *** إذا ما أصبحوا نعقُوا

نصيب بن رباح، قدم إلى مصر عند عبد العزيز بن مروان، فحضر بابه مع الناس، فنحّى عن مجلس الوجوه، فكان وراءهم، ورأى رجلاً جاء على بغلة حسن الشّارة، سهل المدخل، يؤذن له إذا جاء. فلمّا انصرف إلى منزله انصرف معه يماشي بغلته. فلما رآه قال: ألك حاجة؟ قال: نعم، أنا رجل من أهل الحجاز شاعر، وقد مدحت الأمير، وخرجت إليه راجياً معروفه. وقد ازدريت، فطردت من الباب، ونحّيت عن الوجوه. قال: فأنشدني، فأنشدته. فأعجبه شعري، فقال: ويحك! أهذا شعرك؟ فإيّاك أن تنتحل، فإنّ الأمير رواية عالم بالشّعر، وعنده رواة، فلا تفضحني، ونفسك. فقلت: والله ما هو إلا شعري. فقال: ويحك! فقل أبياتاً تذكر فيها خوف مصر، وفضلها على غيرها، وألقني بها غداً. فغدوت عليه من غدٍ، فأنشدته قولي[4]:

سرى الهم تثنيني إليك طلائعه *** بمصر وبالجوف اعترتني روائعه

وبات وسادي ساعد قل لحمه *** عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

قال: وذكرت فيها الغيث، فقال:

وكم دون ذاك العارض البارق الذي *** له اشتقت من وجه أُسِيل مدامعه

(1) ديوان كثير عزة. جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس – رحمه الله – طبعة دار الثقافة – بيروت 1391هـ/1971م، ص279.

(2)ديوان جميل بثينة، دار صادر، بيروت، ص118

(3)ديوان ابن قيس الرقيات، تحقيق وشرح : محمد يوسف نجم .ص158

(4) الأغاني، 260/1.

تمشي به أفناء بكر ومذحج *** وأفناء عمرو وهو خصب مرابعه
فكلّ مسيل من تهامة طيّب *** دميث الرّبا تسقي البحار دوافعه
أعنّي على برق أريك وميضه *** تضيء دجنّات الظّلام لوامعه
إذا اكتحلت عينا محبّ بضوئه *** تجافت به حتّى الصبّاح مضاجعه
هنيئا لأمّ البختريّ الرّوي به *** وإن أنهج الحبل الذي أنا قاطعه
وما زلت حتّى قلت إنّي لخالع *** ولائي من مولى نمتني قوارعه
ومانح قوم أنت منهم مودتي *** ومتّخذ مولاك مـولى فتابعه

وكان نصيب يرحل إليه في كلّ عام مستميحاً، فيجيزه، ويحسن صلته، فقال فيه نصيب[1]:

يقول فيحسن القول ابن ليلى *** ويفعل فوق أحسن ما يقول
فتى لا يرزأ الخلّان إلّا *** مودّتهم ويـرزؤه الخليل
فبشّر أهل مصر فقد أتاهم *** النّيل الذي في مصر نيل

وممن جاء لمدح عبد العزيز بن مروان أيمن بن خريم بن فاتك الأسدي، كان لعبدالعزيز ألف جَفنة كلّ يوم تُنصَب حول داره، وكانت لَهُ مائة جَفنة يُطاف بها عَلَى القبائل، تُحمل علَى العَجَل إلى قبائل مِصر، فقال الشاعر مادحاً[2]:

لَا يَرْهَبُ النَّاسُ أَنْ يَعْدِلُوا ... بِعَبْدِ العَزِيزِ بْنِ لَيْلَى أَمِيرَا
تَرَى قِدْرَهُ مُعْلنًا بِالفِنَاءِ ... يَلْقَمُ بَعْدَ الجَزُورَ الحَزُورا

وفد عبد الله بن الحجاج إلى عبد العزيز بن مروان ومدحه، فأجزل صلته، وأمره بأن يقيم عنده ففعل، فلما طال مقامه اشتاق إلى الكوفة وإلى أهله، فاستأذن عبدالعزيز فلم يأذن له، فخرج من عنده غاضباً، فكتب عبد العزيز إلى أخيه بشر بن مروان أن يمنعه عطاءه، فمنعه، ورجع عبد الله لما أضرّ به ذلك إلى عبد العزيز، وقال يمدحه[3]:

تركت ابن ليلى ضلّة وحريمه *** وعند ابن ليلى معقل ومعوّل
ألم يهدني أنّ المراغم واسع *** وأنّ الديار بالمقيم تنقّل
سأحكم أمري إن بدا لي رشده *** وأختار أهل الخير إن كنت أعقل

وفد أمية بن أبي عائذ الهذلي إلى عبد العزيز في مصر، وقد امتدحه بقصيدته التي أوّلها [4]:

ألا إنّ قلبي مع الظاعنينا *** حزين فمن ذا يعزّي الحزينا
فيا لك من روعة يوم بانوا *** بمن كنت أحسب ألّا يبينا

(1) الأغاني، 276/1
(2)الولاة والقضاء للكندي، ص52
(3)الأغاني، 13/ 116.
(4)الأغاني، 13/ 116. 192/2

مـجـلـة تـهـامـة - العدد الخامس عشر (يناير – يونيو 2022م) نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الحديدة
www.tehama-journal.com ISSN:2710-1282 (Online) ISSN:2710-1290 (Print)

إلى سيد الناس عبد العزيز أعـ *** ملت للسّير حرفا أمونا
صهابيّة كعلاة القيو *** ن من ضرب جوهر ما يخلصونا
إذا أزبدت من تباري المطيّ *** حلت بها خبلا أو جنونا
تؤمّ النّواعش والفرقدين *** تنصّب للقصد منها الجبينا

وكذلك نقول عن الوالي عبدالله بن عبد الملك بن مروان الذي ولي مصر سنة ٨٦ هـ فقد وفد عليه الحزين الكناني ، ويُكنَّى سليمان أبا الشعثاء ومدح الوالي بقوله[1]:

الله يعلم أن قد جُبْتُ ذا يمن *** ثم العراقـين لا يثنيني السأم
ثم الجزيرة أعلاها وأسفلها *** كذاك تسري على الأهوال بي القدم
ثم المواسم قد أوطأتها زمنًا *** وحيث تُحلَق عند الجمرة اللمم
قالوا دمشق ينبيك الخبير بها *** ثم ائت مصر فثمَّ النائل العمم
لما وقفت عليها في الجموع ضحًى *** وقد تعرَّضت الحُجَّاب والخدم
حييـته بسلام غير مرتفق * * * وضجة القوم عند الباب تزدحم
في كفه خيزران ريحها عبق *** من كف أروع في عرنينه شمم

فقد كان الغرض الأساسي لشعر هؤلاء هو المدح.

ومن كان غرضه رثاء، مثل الشاعر: ذي الشامة محمد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط يرثي عبد العزيز وابنه الأصبغ[2]، والشاعر سليمان بن أبان بن أبي حدير الأنصاري يرثي عبد العزيز وابنه الأصبغ[3]، وفي رثاء حفص بن الوليد وأصحابه مرسل بن حمير[4]، وابن ميادة المري[5]، والمسور الخولاني[6].

وفي غرض الوصف نظم عبد الرحمن بن الحكم بن أبي عاص، إذ يصف بعض الأحداث التي منها أن مروان سار حتى نزل عين شمس، فخرج ابن جَحْدَم فِي أهل مِصر، فتحاربوا يومًا أو يومين، ثمَّ رجعوا إلى خَندَقهم فصُفُّوا عَلَيْهِ، فكانت تِلْكَ الأيَّام تُسمَّى أيَّام الخَنْدَق والتراويح؛ لأن أهل مِصر كانوا يُقاتلون نُوَبًا يخرج هَؤُلَاءِ، ثم يرجِعون، ثمَّ يخرج غيرهم، واستحرّ القتل فِي المعَافر، فقُتِل جمع منهم، وقُتل كثير من أهل القبائل من أهل مصر، وقُتِل من أهل الشام أيضًا جمع كثير، قَالَ عبد الرحمن بْن الحَكَم[7]:

(1)أدب مصر الإسلامي، د. محمد كامل حسين، ص138
(2)الولاة والقضاء للكندي، ص56.
(3)المصدر السابق، ص56.
(4)المصدر السابق، ص 91
(5)المصدر السابق، ص 91
(6)تاج العروس للمرتضى الزبيدي، باب: ق ط م، 33/ 288.
(7)الولاة والقضاء، ص44.

أَلَا هَلْ أَتَاهَا عَلَى نَأْيِهَا *** نِبَاءُ التَّرَاوِيحِ وَالْخَنْدَقِ
بَلَغْنَا بِفَيْلَق يَغْشَى الظِّرَابَ *** بَعِيدَ السُّمُوّ لِمَنْ يَرْتَقِي
وَ جَاشَتْ لنا الأرضُ منْ نحْوِهِمْ *** بِحَي تُجِيبَ وَمِنْ غَافِقِ

المطلب الرابع: الدراسة الفنية لبعض النصوص المختارة

قبل البدء في الدراسة لا بد من تحديد المعيار الذي بموجبه نطلق تسمية قصيدة أو مقطوعة على ما بين أيدينا من مادة شعرية؛ ليتسنّى لنا دراسة الخصائص الفنية لكل منهما. قال الأخفش: ليست القصيدة إلا ثلاثة أبيات، فجعل القصيدة ما كان على ثلاثة. وقال ابن جني: وفي هذا القول من الأخفش جواز؛ وذلك لتسميته ما كان على ثلاثة أبيات قصيدة، قال: والذي في العادة أن يسمى ما كان على ثلاثة أبيات أو عشرة أو خمسة عشر قطعة، فأما مَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فإنما تُسَمِّيهِ الْعَرَبُ قَصِيدَةً[1]. إلا أن ابن رشيق كان الأكثر وسطية فقال: إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ... ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد.. [2].

فإنني أميل إلى ما قاله ابن رشيق من أن القصيدة ما جاوزت سبعة أبيات، وقد اتخذته معيارا أسير عليه في تحديد المقطوعة من القصيدة، وعلى هذا الأساس فقد بلغ مجموع القصائد التي ينطبق عليها هذا الرأي خمسًا وعشرين قصيدة، وبلغ عدد المقطوعات ثماني وعشرين مقطوعة، بلغ مجموع أبياتها خمسمائة واثنين وثمانين بيتا بتنوع الأغراض.

اعتمدت في دراستي الفنية على شعر الشعراء الوافدين؛ لما فيه من شعرية تمثّلت في جمال الألفاظ، وحسن المعاني، وعذوبة التصوير، وقوة الإيقاع، كما ذكرنا سابقاً أن أشعر شعراء أهل مصر لا يعادل الطبقة الثانية من شعراء الحجاز والعراق، ولذا سأتطرق في دراستي للأشعار من حيث :

أ) البناء اللغوي .
ب) الصورة الشعرية .
ج) الأغراض الموضوعية.
د) الموسيقى الشعرية: الوزن والقافية

أ) البناء اللغوي:

نلاحظ اختلافاً في شعر الرثاء في العصر الأموي عن العصور السابقة، إذ إنه يخلو من تقليد المقدمات، ولولا وجود نماذج قليلة جداً لا تتعدّى أصابع اليد الواحدة، لقلنا: إنه خلا تماماً من هذه المقدمات التي عدها النقاد جزءاً رئيساً في بناء القصيدة العربية، فكانت أغلب

(1)لسان العرب ، ابن منظور ، 3/ 355
(2)العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق، 1/ 188

مقدمات القصائد في الرثاء إمّا طللية أو غزلية، بخلاف العصور السابقة كانت مقدماتهم طللية أو غزلية في غرض المدح نظير ما قاله ابن قتيبة : "إنّ مقصّد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع، واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم وصل ذلك بالنسيب، فشكا شدّة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق؛ ليميل نحوه القلوب؛ ويصرف إليه الوجوه؛ وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه..."[1]، ولكن هذا ينطبق على قصيدة المدح بدليل المثال الذي قدمه ابن قتيبة لشاعر مدح والي خراسان نصر بن سيار فمدحه بقصيدة، تشبيبها مائة بيت، ومديحها عشرة أبيات، فكانت أغلب مقدماته الطللية أو الغزلية في المدح .

نلاحظ قصيدة كثير عزة في رثاء الوالي عبد العزيز بن مروان، إذ كان في مقدمتها غزل منسجم مع حالة الحزن التي يعيشها الشاعر، ورؤيته للحبيبة، وقد أزف وقت رحيلها، وقد حفلت خدودها بالبرود الإنطاكية الموشاة بالخز، وإسهابه في وصف النوق القوية التي حملتها، وقد جفت، وقل تحريكها لأذنابها، وأسلمها انقطاع لبنها لتحمل السفر الطويل، فيقول[2]:

أَهاجَتكَ سَلمى أَم أَجَدَّ بُكورُها *** وَحُفَّت بِأَنطاكِيّ رَقمٍ خُدورُها

عَلى هاجِراتِ الشَولِ قَد خَفَّ خَطرُها *** وَأَسلَمَها لِلظاعِناتِ جُفورُها

ويستمر في وصف حركة النوق، وقد غابت تحت جنح الظلام، وبعد وصوله مصر، واطمئنانه على رحلة الظعن، و وصولها إلى مستقرها يبدأ الشاعر في رثائه قائلا[3]:

نَشيمُ عَلى أَرضِ اِبنِ لَيلى مَخيلَةً *** عَريضاً سَناها مُكرَهِفّاً صَبيرُها

فَأَصبَحتُ لَو أَلَمَتُ بِالحَوفِ شاقَني *** مَنازِلُ مِن حُلوانَ وَحشٌ قُصورُها

ونلاحظ في قصيدة أخرى مرثية كثير عزة لعبد العزيز بن مروان، ففي المقدمة ينادي أطلالا استعجمت، وسكنت الحياة فيها، ويصر على مناداتها رغبة منه في انبعاث الحياة فيها، جاعلا من ذلك مقدمة لرثاء عبد العزيز، فيقول[4]:

أَأَطلالَ دارٍ بِالنِياعِ فحُمَّتِ *** سَأَلتُ فَلَمّا اِستَعجَمَت ثُمَّ صُمت

عَجِبتُ لِأَنّ النَائِحاتِ وَقَد عَلَت * * * مُصِيبَتُهُ قَهرًا فَعَمَّت وَأَصمَتِ

نَعَينَ وَلَو أَسمَعنَ أَعلامَ صِندِدٍ *** وَأَعلامَ رَضوى ما يَقُلنَ اِدرَهَمَّتِ

(1)الشعر والشعراء لابن قتيبة ، 73/1.

(2)ديوان كثير عزة، ص321.

(3)المصدر السابق، ص315

(4)المصدر السابق، ص323

ومن المطالع الجديدة، ما افتتح بالدعاء للمرثي، وطلب الرحمة، وهذه غير موجودة في العصور السابقة. ففي مرثية نصيب بن رباح لعبد العزيز بن مروان في مطلع القصيدة يدعو له بالمغفرة والرحمة؛ لأنه كان كثير العطاء، فيقول[1]:

مَن ذا اِبنُ لَيلى جَزاكَ اللهُ مَغفِرَة *** يُغني مَكانَك أَو يُعطي الَّذي تَهَب

قَد كانَ عِندَ اِبن لَيلى غَير مَعوزة *** لِلفَضلِ وَصل وَلِلمُعتَر مُرتَغَب

وهناك تقاليد ومعتقدات كانت شائعة في شعر ما قبل الإسلام، ويرجع ذلك إلى شدة تأثره به، وقربه من عهده، ومن تلك التقاليد: الوقوف على القبر، وفي ذلك ما أورده كثيرعزة في رثائه عزة من أنه عاد من دمشق، فإذا بجنازة، فاستعبر، وقال : أسأل الله خير ما هو كائن، فسأل عن الميت، فإذا هي عزة، فخرَّ مغشياً عليه، فعُرِف، وصُّب عليه الماء، فكان مجهوده أن بلغ القبر، فلما دفنت، انكب على القبر، وهو يقول[2]:

سِراجُ الدُجى صِفرُ الحَشا مُنتَهى المُنى *** كَشَمسِ الضُحى نَوّامَةٌ حينَ تُصبِحُ

إِذا ما مَشَت بينَ البُيوتِ تَخَزَّلَت *** وَمالَت كَما مالَ النَزيفُ المُرَنَّحُ

تَعَلَّقتُ عَزًّا وَهيَ رُؤدٌ شَبابُها *** عَلاقَةَ حُبّ كادَ بالقَلب يَرجَحُ

أَقولُ وَنِضوي وَاقِفٌ عِندَ رَمسِها *** عَلَيكِ سَلامُ الله وَالعَينُ تُسفَحُ

ومن تلك التقاليد كذلك استعمال أسلوب الاستفهام في مراثيهم ، كقول سليمان بن أبان بن أبي حدير الأنصاري في رثاء عبد العزيز وابنه[3]:

أَبَعْدَكَ يَا عَبْدَ العَزِيزِ لَحَادِثٌ*** وَبَعْدَ أَبي زَبَّانَ يَنْشَعِبُ الدَّهْرُ؟

وَلَا زَالَ مَجْرَاهُ مِنَ الأَرْض يَابِسًا *** يَموتُ بِهِ العُصْفُورُ و انْجَدَبَ القَطْرُ

ومن التقاليد كذلك في قصيدة الرثاء التي مطلعها بكائي، وأن تخاطب العين، وتصف انهمار الدموع، وهذه المطالع في الرثاء موروثة ما قبل الإسلام، ومن تلك المطالع مرثية مرسل بن حمير لحفص وأصحابه يقول[4]:

يا عين لا تبــقي من العابرات ***جودي على الأحياء والأموات

بكي الذين مضوا فهم صــا *** دقوا صدقات فأطلت تاراتِ

وقصيدة كثير في مدح عبد العزيز بن مروان كان في مطلع القصيدة يقف على المنازل التي أصبحت أطلالا بعد تحمل أهلها، فهذه من التقاليد كما ذكرنا.

فيقول كثير[5]:

(1)ديوان نصيب بن رباح ، ص64.

(2)ديوان كثير عزة، ص463

(3)الولاة والقضاء للكندي، ص56.

(4)الولاة والقضاء للكندي، ص91.

(5)ديوان كثير عزة، ص284

إِربَع فَحَيِّ مَعارِفَ الأَطلالِ *** بِالجَزعِ مِن حُرُضٍ فَهُنَّ بَوالِ
فَشِراجَ رِيمَةَ قَد تَقادَمَ عَهدُها *** بِالسَفحِ بَينَ أُثَيِّلٍ فَبِعالِ
وَحشاً تَعاوَرَها الرِياحُ كَأَنَّها *** تَوشيحُ عَصبٍ مُسَهَّمِ الأَغيالِ
لَمّا وَقَفتُ بِها القَلوصَ تَبادَرَت *** حَبَبُ الدُموعِ كَأَنَّهُنَّ عَزالي
وَذَكَرتُ عَزَّةَ إِذ تُصاقِبُ دارُها *** بِرُحَيِّبٍ فَأُرايِنٍ فَنُخالِ
أَيّامَ أَهلونا جَميعاً جيرَةٌ *** بِكُتانَةٍ فَفُراقِدٍ فَثُعالِ

وتجنبًا لتكرار الحديث عن ما أوردناه آنفًا من مقدمات لنصوص شعرية، فقد اكتفينا بذكر ما اتضح لنا من رؤية نقدية، تمثّلت في إن مقدمات القصائد، جاءت منسجمة مع الهدف العام، وهو إظهار الانفعالات كالحزن أو غير ذلك، سواء ما جاء منها كمقدمة طللية أو غزلية أو غيرها؛ لأنها تستقي من عاطفة واحدة، وهي نفسها الخيط الخفي الذي يربط بين أجزائها، وقد سار الشعراء في ذلك العصر على ما كان عليه الشعراء في البيئة العربية الأصيلة، ولم يتغير نهج القصيدة العربية عن نمطه المعتاد في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام إلا في النزر اليسير من أشعارهم.

ب) **الصورة الشعرية:**

الصورة تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها، إذ أن أغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية و العقلية، وإن كانت لا تأتي بكثرة الصور الحسية أو يقدمها الشاعر غالبًا في صور حسية، ويدخل في تكوين الصورة بهذا الفهم ما يعرف بالصور البلاغية من تشبيه ومجاز، إلى جانب التقابل والظلال والألوان، وهذا التشكيل يستغرق اللحظة الشعرية والمشهد الخارجي[1].

إذا، لابد للشاعر عند تكوين صورة شعرية من الاعتماد على عناصر البيان: من تشبيه، واستعارة، وكناية، ومجاز، وهي ليست غاية في ذاتها، إنّما هي غاية لمعان تمثّلها. وعناصر البيان في شعرنا كثرت في غرض المدح، لما فيه من كرم الممدوح، وكنايات عن الكرم، إذ نجد في بيت عزة في مدح عبد العزيز بن مروان صورة شعرية، يقول:

غَمرُ الرِداءِ إِذا تَبَسَّمَ ضاحِكاً *** غَلِقَت لِضَحكَتِهِ رِقابُ المالِ

غمر الرِّداء، كثير العطايا والمعروف، فقد استعار الرداء للمعروف؛ لأنه يصون، ويستر عرض صاحبه، كستر الرداء ما يلقى عليه، وأضاف إليه الغمر، وهو القرينة على عدم إرادة معنى الثوب؛ لأنّ الغمر من صفات المال، لا من صفات الثوب [2].

(1)الصورة في الشعر العربي حتى اخر القرن الثاني الهجري " دراسة في أصولها وتطورها " . د.علي البطل .ص30
(2)جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع . احمد الهاشمي .ص271

ورسم الشعراء أيضًا صورة فنية استعارية للكرم في مرثية سليمان بن أبان الأنصاري لعبد العزيز وابنه الأصبغ ، يقول[1]:

فكُنْتَ حَلِيفَ العُرْفِ والخيرِ والنَّدَى *** فمِتْنَ جَميعًا حِينَ غَيَّبَكَ القَبْرُ

فحليف العرف والخير والندى استعارات للرائحة الطيبة والكرم والجود، إذ شبه العرف بالرائحة الطيبة، و حذف الرائحة الطيبة، وأضاف قرينة تلائم المحذوف، وهو الحليف أي : الملازم[2].

ونلحظ الكناية عن التلطف والاحتيال في استجلاب المودة، وإماتت البغض في قصيدة كثير عزة في مدح عبد العزيز بن مروان يقول[3]:

وما زالت رقاك تسلّ ضغني *** وتخرج من مكامنها ضبابي

ويرقيني لك الحاوون حتى *** أجابك حية تحت الحجاب

ونلاحظ كنايات أخرى في مرثية مرسل بن حمير لحفص وأصحابه يقول[4]:

يا حفص يا كهف العشيرة كلها *** يا أخا النوال وساتر العوراتِ

إما قتلت فأنت كنت عميدهم *** والكهف للأيتام والجــاراتِ

تمثّلت الكنايات في:(يا كهف العشيرة، يا أخا النوال، يا ساتر العورات)، كأنه يقول: أن حفص كان مقصدا للعشيرة يلبي احتياجاتهم، ولا يدخر من الجود شيء.

وقول كثير في مدح عزة[5]:

فَما أَنا بِالدَاعي لَعَزَّةَ بِالرَدى *** وَلا شامِتٍ إِن نَعلُ عَزَّةَ زَلَّتِ

فَلا يَحسَبِ الواشُونَ أَنَّ صَبابَتي *** بِعَزَّةَ كانَت غَمرَةً فَتَجَلَّتِ

فزلت به النعل: كناية عن العثار والخطأ.

وفي موضع التشبيه قام الشاعر بوصف الجمل ، ثم شبهه بالصقر في قصيدته في مدح عبد العزيز ، حيث يقول[6]:

فَكَأَنَّهُ إِذ يَغتَدي مُتَسنِّماً *** وَهداً فَوَهداً ناعِقٌ بِرِئالِ

كَالمِضرَجِيَّ عَدا فَأَصبَحَ واقِعاً *** مِن قُدس فَوقَ مَعاقِلِ الأَوعالِ

(1)الولاة والقضاء . الكندي، ص56.

(2)لسان العرب . ابن منظور.، 54/9

(3)الأغاني.،21/ 235.

(4)الولاة والقضاء.ص91.

(5)ديوان كثير عزة.ص102.

(6)ديوان كثيرة عزة.ص287..

شبه الشاعر الجمل، وهو يقطع الوهاد، ويعلوها براع ينعق بالرئال، والرئال: صغار النعام، وهي تسكن السهل، ولا ترقي في الجبال، ولذلك جعلها في الوهاد، ثم شبه الجمل وهو يتسم الوهاد بصقر.

وتشبيه آخر عند كثير عزة في مدح عبد العزيز بن مروان يقول[1]:

أَفي رَسمِ أَطلالٍ بِشَطبٍ فَمِرجِمِ *** دَوارِسَ لَمّا اِستُنطِقَت لَم تَكَلَّمِ

تُكَفكِفُ أَعداداً مِنَ العَينِ رُكِّبَت *** سَوانِيُّها ثُمَّ اِندَفَعنَ بِأَسلُمِ

فَأَصبَحَ مِن تِربَي خُصَيلَةَ قَلبُهُ *** لَهُ رِدَّة مِن حاجَةٍ لَم تَصَرَّمِ

شبه الشاعر في البيت الثاني دموعه بالأعداد التي تسقي منها السواني، أي: النواضح، فتشبيه الشاعر يدل على غزارة دموعه.

وتشبيه آخر في قصيدة كثير عزة في مدح عبد العزيز بن مروان عندما وصف الحمار الوحش شبه نهيقه بتردد الصوت في الهنابق أي: المزمار .عندما قال[2]:

يُرجِعُ في حيزومِهِ غير باغمٍ * * * يَراعاً من الأحشاء جُوفاً هنابِقُه

إذا ما رمى قصْدَ الملا لحقت بهِ *** علاةٌ كمرْداةِ القِذافِ تُراشِقُه

يجرّرُ سِرْبالا عليه كأنّهُ *** سبيُّ هلالٍ لم تخرق شرانِقُه

وموضع آخر يرسم الشاعر الأموي صورة لدار الممدوح التي تكتظ بالفقراء، والمحتاجين، حتى تعود الكلب على هذا الازدحام من الناس أمام منزله، ثم يرسم الشاعر صورة مألوفة، وهي تشبيه كرم الممدوح بالمطر، عندما قال نصيب بن رباح في مدحه لعبد العزيز بن مروان[3]:

لعبد العزيز على قومه *** وغيرهم نعم غامره

فبابك ألين أبوابهم *** ودارك مأهولة عامره

وكلبك أنس بالمعتفين *** من الأم بالإبنة الزائره

وكفك حين ترى السائلي *** ن أندى من الليلة الماطره

والشاعر يخلص منهجه المتسول بشعره في بيته الأخير، حين قال[4]:

فمنك العطاء وممّي الثناء *** بكلّ محبّرة سائره

وهكذا رسم الشعراء بعض الصور الشعرية التي استطاع خيالهم المبدع تجسيدها في أشعارهم، بحيث جعلتنا نشاركهم مشاعرهم وانفعالاتهم، وكان سبيلهم إلى ذلك بعض الفنون البلاغية التي كان من أهمها: التشبيه، والاستعارة، والكناية.

(1)ديوان كثيرة عزة.ص298..

(2)ديوان كثيرة عزة.ص307.

(3)الأغاني ، 263/1.

(4)المصدر السابق 264/1.

ج) الأغراض الموضوعية:

إن الغرض هو الهدف[1]، أو هو الغاية من الشيء، فالغرض الشعري هو الموضوع الذي تتناوله القصيدة العربية في أبياتها.

لاحظ الباحث بعد حصره لشعر الشعراء الوافدين إلى مصر أن الأغراض المتناولة التي عبر عنها الشعراء في مصر تقليدية لا جديد فيها، وأن أهم الأغراض هو المدح، وهو الأكثر نظمًا لدى الشعراء، خاصة في عهد عبد العزيز بن مروان؛ لنيل عطاءه، إذ بلغ مجموع عدد أبياته ثلاثمائة وخمسين بيتًا، وبلغ عدد القصائد ست عشرة قصيدة. وعدد المقطوعات تسع مقطوعات. وكان أكثر الشعراء في غرض المدح هو كثير عزة، إذ مجموع عدد أبياته مائة وستة وتسعين بيتاً. وعدد قصائده سبع قصائد. وعدد مقطوعاته أربع مقطوعات.

وجاء في المرتبة الثانية بعد المدح غرض الرثاء، وأكثره كان في رثاء عبد العزيز بن مروان، إذ بلغ مجموع عدد أبياته مائة وواحد وأربعين بيتاً، وعدد القصائد سبع قصائد، وعدد المقطوعات سبع مقطوعات، وكان أكثر الشعراء في هذا الغرض هو كثير عزة، إذ بلغ مجموع عدد أبياته واحدًا وتسعين بيتاً، وعدد قصائده ست قصائد، ومقطوعتين.

وجاء في المرتبة الثالثة غرض الغزل، بلغ مجموع عدد أبياته سبعة وسبعين بيتاً، وبلغ عدد القصائد قصيدتين، وأربع مقطوعات، وكان أكثر الشعراء في هذا الغرض هو كثير عزة؛ لكون محبوبته من أهل مصر أبياته واحد وستين بيتاً. وله قصيدة واحدة وأربع مقطوعات.

وهناك أغراض أُخرى، لا تتجاوز عدد أبياتها اثني عشر بيتا، مثل الهجاء، بلغ مجموع عدد الأبيات اثني عشر بيتا، وأربع مقطوعات. ومثل الوصف، بلغ مجموع عدد الأبيات أحد عشر بيتاً، وثلاث مقطوعات، ومثل غرض الشوق والحنين، مقطوعة واحدة لا تتجاوز ستة أبيات.

خلاصة القول: إن جميع الأغراض التي نظم فيها الشعراء كانت تقليدية لا جديد فيها، وأن أغلب الشعراء الوافدين اعتمدوا على غرض المدح لنيل العطاء والكرم من الممدوح.

د) الموسيقى الشعرية :

أ- الوزن :

وهو ركن من أركان الشعر، إذ لابد للكلام أن يستوفيه حتى يكون شعرًا، فالشعر قول موزون مقفى .

وقد أجريت عملية إحصائية للبحور التي نظم عليها شعراء مصر في العصر الأموي، ولكثرة المادة التي أدرسها فقد انتخبت مجموعة من الشعراء أصحاب الدواوين وغيرهم، إذ بلغ مجموع القصائد والمقطوعات إحدى وأربعين قصيدة ومقطوعة:

(1)لسان العرب لابن منظور ، 196/7

الأوزان		الطويل	الكامل	البسيط	الوافر	المتقارب	المنسرح
كثير عزة	المقطوعات	6	1	2	-	1	-
	القصائد	11	12	-	1	-	-
جميل بثينة	المقطوعات	-	1	-	-	-	-
	القصائد	-	-	-	1	-	-
عبدالله بن الحجاج	المقطوعات	1	-	-	-	-	-
	القصائد	-	-	-	-	-	-
نصيب بن رباح	المقطوعات	3	-	-	2	1	-
	القصائد	3	-	-	-	-	-
أيمن بن خريم	المقطوعات	-	-	-	1	-	-
	القصائد	-	-	-	-	-	-
عبيد الله بن قيس الرقيات	المقطوعات	-	-	-	-	-	-
	القصائد	-	-	-	1	-	3
سليمان الأنصاري	المقطوعات	1	-	-	-	-	-
	القصائد	-	-	-	-	-	-

من خلال هذه الإحصائية يتبين لنا، ميل هؤلاء الشعراء إلى الأوزان الطويلة وعلى الأخص منها البحر الطويل، ولا غرو في ذلك؛ فقد بنت العرب شعرها في أغلبه على البحور الطويلة، ولا سيما البحر الطويل؛ لأنه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره، ويتخذونه ميزانا لأشعارهم، خاصة في الأغراض الجدية الجليلة الشأن. وهو لكثرة مقاطعه يتناسب وجلال مواقف المفاخرة والمهاجاة والمناظرة، تلك التي عنى بها الجاهليون عناية كبيرة، وظل الشعراء يعنون بها في عصور الإسلام الأولى[1].

ب- القافية

لا تقل القافية في الشعر العربي أهمية عن الوزن ، إذا جاء في معظم تعريفات الشعر عند النقاد القدماء ما يدل على اقترانها به ، فالشعر قول موزون مقفى[2]. والقوافي شريكة الوزن ، فلابد من دراستها ، ولقد أجريت على غرار الأوزان ، إحصائية يمكن أن نتعرف من خلالها حركة القافية في مجموعة بلغت (53) قصيدة ومقطوعة ، لمجموعة من الشعراء أصحاب الدواوين الشعرية وغيرهم.

(1) ينظر: موسيقى الشعر.د. إبراهيم أنيس.ص189

(2) ينظر: نقد الشعر.قدامة بن جعفر.ص3.

القافية		ل	ر	ت	ق	م	ز	ب	ع	ن	د	ح	ض
كثير عزة	المقطوعات والقصائد	7	3	2	1	4	-	1	-	1	2	2	1
جميل بثينة	المقطوعات والقصائد	2	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
عبدالله بن الحجاج	المقطوعات والقصائد	1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
أمية الهذلي	المقطوعات والقصائد	1	-	-	-	-	-	-	1	1	-	-	-
نصيب بن رباح	المقطوعات والقصائد	2	3	-	-	2	-	-	1	-	-	-	-
أيمن بن خريم	المقطوعات والقصائد	-	1	-	-	-	1	-	-	-	-	-	-
عبيد الله الرقيات	المقطوعات والقصائد		-	-	1	2	-	1	-	-	-	-	-
عبدالرحمن بن الحكم	المقطوعات والقصائد		-	-	1	-	-	-	-	-	-	-	-
الغطريف الحميري	المقطوعات والقصائد		-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
المسور الخولاني	المقطوعات والقصائد		-	-	-	1	-	-	-	-	-	-	-
ابن ميادة المري	المقطوعات والقصائد		1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
مرسل بن حمير	المقطوعات والقصائد		-	1	-	-	-	-	-	-	-	-	-
سليمان الأنصاري	المقطوعات والقصائد		1	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
الحزين الكناني	المقطوعات والقصائد		-	-	-	-	-	-	-	-	-	-	-
ذو الشامة	المقطوعات والقصائد		-	-	1	-	-	-	-	-	-	-	-

أظهرت نتائج الاحصاء شيوع حرف الروي (اللام) لدى الشعراء، وهي من حروف الذلاقة، فمن خصائصها قدرتها على الانطلاق من دون تعثر في تلفظها، ولمرونتها وسهولة النطق بها وكثرت استعمالها في أشعار العرب[1].

(1) ينظر: البحث اللغوي عند العرب . الدكتور أحمد مختار عبدالحميد عمر.ص92.

الخاتمة:

من خلال ما تم استعراضه من أشعار قيلت في مصر، لشعراء ينطقون بلسان عربي مبين، فقد توصّل البحث إلى نتائج أهمها:

- إن الشعر في مصر في العصر الأموي قد سار على نهج القصيدة العربية المعتادة في الجزيرة العربية، فحافظ شعراء مصر على سمات القصيدة العربية من حيث الأغراض والصور والخيالات التي جاءت – في أغلبها – متأثرة بالطبيعة في الجزيرة العربية، وظهر ذلك واضحا في مقدمات قصائدهم الطللية.

- إن شعراء مصر في العصر الأموي كانوا ممن نشأ في البيئة العربية، أو ممن ولد من نسلهم، ومع هذا لم يظهر أثر البيئة وطبيعة البلاد بصورة واضحة في شعرهم.

- إن انتشار الشعر في مصر ارتبط بصورة أساسية بموقف الولاة والحكام منهم، من حيث تشجيعهم أو النفور منهم، ومع ذلك فقد كان شعر تلك الفترة النواة التي نشأ منها الشعر العربي في مصر، وتأثرت به الأجيال التالية لتعبر بشعر خالص عن طبيعة البيئة في مصر بعد ذلك.

- إن الأغراض المتناولة التي عبر عنها الشعراء في مصر تقليدية لا جديد فيها، وقد كان المدح هو الأكثر نظمًا، خاصة في عهد عبد العزيز بن مروان، لنيل العطاء والكرم من الممدوح.

- وأنه كان في مصر شعرٌ وافرٌ، لكنه أُهمِل، ولم يعتنِ أحد بروايته وحفظه، فضاع أكثره، ولم يصل إلينا منه إلّا القليل.

المراجع والمصادر

- إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، د.ن، د.ط، ١٩٥٢م.
- ابن زولاق، تاريخ مصر وفضائلها، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية.
- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت ط1، 1415هـ
- أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: م 571هـ). تاريخ دمشق، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415 هـ. 1995
- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، ١٩٨١م.
- أبو عمر محمد بن يوسف الكندي، كتاب الولاة وكتاب القضاة، مطبعة الآبا في بيروت، 1908م.
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء المحقق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر. ط، ١٩٨٢.
- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط8، ٢٠٠٣م.
- تقي الدين المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بخطط المقريزي، دار الطباعة المصرية ببولاق ١٢٧٠، تصوير دار صادر.
- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضيل إبراهيم.
- جميل بن معمر ديوان جميل بثينة (ط. بيروت)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، ١٤٠٢.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المكتبة العصرية، د.ط، ١٩٩٩م.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي "العصر الإسلامي"، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط37، ٢٠١٩م.
- عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم أبي القاسم، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق وتقديم: محمد صبيح.
- عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح، معالم الثقافة الإسلامية في القرنين الأولين من الهجرة.
- عبيد الله بن قيس الرقيات، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح: محمد يوسف نجم، الجامعة الأمريكية ببيروت، دار صادر.
- علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دراسة في أصولها وتطورها. دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ط2، 1401هـ - ١٩٨١م.
- غازي طليمات، وعرفان الأشقر، الشعر في العصر الأموي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨.
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوانب – قسطنطينية، ١٣٠٢.
- كثير عزة، ديوان "كثير عزة"، جمعه وشرحه إحسان وعباس، دار الثقافة – بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
- محمد أمين فكري، جغرافية مصر، مطبعة وادي النيل، مصر، ط1، ١٢٩٦هـ.
- محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، طبعة الكويت.
- محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3، 1414 هـ
- محمد كامل حسين، أدب مصر الإسلامية (عصر الولاة)، دار الفكر العربي.
- نصيب بن رباح (ت١٠٨هـ)، شعر نصيب بن رباح. جمع وتقديم: داود سلوم، مطبعة الارشاد - بغداد، ١٩٦٧م.